

السنة الرابعة

المعنا

الجزء الثالث

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية - مايو (ايار) سنة ١٩٠٣ - صفر سنة ١٣٢٠

مشاهير المتقدمين والمناخرين

—••••—

مشاهير الغرب

الملك ادورد * الرئيس لوبه

الملك ادورد والرئيس لوبه هما اليوم الرجلان اللذان يمثلان ارقى امم الارض . وحكومتها (مع حكومة الولايات المتحدة) ارقى الحكومات في العالم . ولمناسبة النقائهما في باريس بعد سياحة الرئيس لوبه في الجزائر وتونس يحسن ان تصدر هذا الجزء بشيء من ترجمتها

✽ الملك ادوار ✽ ولد الملك ادوار في سنة ١٨٤١ ويوم ولادته ساد الفرح في انكلترا كلها لان بكر امه كان بنتاً . وقد صرف ابوه همه الى تحويل ميله منذ صغره الى المعارف والفنون تنبيهاً لليل الادبي فيه لان امته امة علم وادب . فشب الامير ادوار ادبياً مطالعاً .

الآن ان امه المرحومة فيكتوريا وضعت بهزل من المعيشة الملوكية الرسمية اي لم تكن تسمح له بالتدخل في شأن من الشؤون لثلا يجر ذلك عليه الانتقاد واللوم . ولذلك كان الامير يقول: ان ابن اختي الامير غيليوم (يريد الامبراطور غيليوم وهو ولي عهد) يدرك كل شيء ويتدخل في كل شيء اما انا فكا نني غير موجود . ولكن لما توفي ابوه جزعت الملكة فيكتوريا لوفاته جزعاً شديداً وانقطعت عن الحفلات الرسمية فصار نجلها الامير ادور ينوب مناسها فيها . ومع ذلك فقد كانت وظيفته مقصورة على الظهور في تلك الحفلات دون ان يتدخل في شيء من امور الدولة الرسمية احتراماً لارادة والدته التي لم يكن يخالف لها امراً

وكان من صفات الامير وهو ولي العهد كراهته للاستقبالات الرسمية ورغبته في ان يروح ويحيى في المدينة كما يريد دون ان يعرفه احد او يحفل به احد . ومن اقواله : انني اكون سعيداً جداً يوم اقدر اروح واجي كما احب فلا يقال عني راح البرنس دي غال وجاء البرنس دي غال . اولعب البرنس دي غال الليلة وخسر مالا لا يقدر على وفائه » وكانت من المغممين باقثناء الخليل وتضميرها للسباق وقد ربح جائزة دربي ثلاث مرات . وكذلك كان من محبي التألق في اللبس وكثيرون من الباريزيين والباريزيات لا يزالون يذكرن زهاته في حرش بولونيا في باريز بقبعة منحرفة على اذنه قليلاً كالشبان المرتاحين الى الحياة وستره بزي جديد خاص به . وهذه السترة كانت لا تبلى ان تصير منذ ذلك اليوم زياً عمومياً (موضة) فيتهافت اهل التألق على لبس سترة مثلها

ولكن لما توفيت المرحومة الملكة فيكتوريا والقيت على عاتقه اعباء الدولة الثقيلة تغير الامير تغيراً كلياً . فصار منظره رسمياً محضاً . ومنذ اول اسبوع رحب الشعب الانكليزي بملكه الجديد اجمل ترحيب . غير ان الساسة باتوا يتساءلون : هل ان الملك ادوار يجري في ملكه على سياسة وزرائه ام له آراء خصوصية يريد تحريك سفينة الدولة نحوها . فيظهر من الحوادث التي مرت عليه الى الآن ان الملك ادوار ملك جدي لا يترك نفسه آلة في ايدي وزرائه . فانه على ما يقال هو الذي جعل الوزارة الانكليزية تصالح البوير على الشروط التي تم الاتفاق عليها . وهو ايضاً الذي حرك سفينة الحكومة نحو صداقة فرنسا . ومما هو معروف عنه انه شديد الميل للفرنسويين خصوصاً لباريز لانه اقام فيها مراراً مدات طويلة وعرف اكابر رجالها وسيداتهن خصوصاً في المجتمعات العليا . ومن اقوال بعض اخصائه عنه : ان ابتسامه باريز له تعادل عنده ابتسامه الدنيا كلها

وفي يقيننا ان باريز لا تكفي بالابتسام له هذه المرة التي تحظى فيها بزيارة سلطان

السلطنة الانكليزية . لانه يظهر من الاخبار الواردة منها ونحن نكتب هذه السطور انها سنضجك له ابتهاجاً بزيارته مل فيها . فعسى ان يكون في هذه الزيارة خدمة جديدة للسلم العام في العالم وازالة النفار من بين الامتين العظيمتين اللتين خلفتا الامة اليونانية والامة الرومانية

✽ اميل لوبه ✽ ولد اميل لوبه في مونتليار في اقاليم فرنسا ونشأ محامياً ووكيلاً للدعوى ولبت يتدرج من هذه الحرفة حتى وصل الى رئاسة الجمهورية . اي انه مر في جميع الدرجات التي بينها وبين هذه الرئاسة . فكان عضواً في المجلس البلدي في بلده ثم عمدة لها ثم موظفاً في الحكومة فنائباً في مجلس النواب فوزيراً فعضواً في مجلس الشيوخ ف رئيساً لهذا المجلس . فتقدمه اذاً كان عبارة عن سير تدريجي مطرد بلا وثبة ولا عنف لانه كان عبارة عن نتيجة ارادة قوية وصبر شديد . وقد كان انتخابه لرئاسة الجمهورية في الاحوال التالية : لما فُتحت مسألة دريفوس انقسمت فرنسا قسمين قسم يدافع عن الجيش وقسم يطلب الحقيقة اي يطلب تبرئة دريفوس اذا كان بريئاً ولو ادى ذلك الى اهانة رؤساء الجيش الذين كانوا يؤكدون خيانتهم . وكان على رئاسة الجمهورية يومئذ المرحوم فليكس فور وكان من حزب الجيش وبعض الجمهوريين المعتدلين الذين كانوا يعضدونه اعتقاداً بخيانة دريفوس . فيظهر ان هذه الحادثة اثرت بالمرحوم فليكس فور فاصيب بداء السكتة من جرائها وبعضهم يقول انه مات مسموماً وهو حديث خرافة . فلما خلت رئاسة الجمهورية في ذلك الوقت الذي كان اشد اوقات الضيق على فرنسا عرف اعداء الجمهورية ان هذه هي ساعتهم . فزادوا في تنفير الشعب منها والحملة عليها . اما الجمهوريون فانهم اجتمعوا بسرعة غريبة لانتخاب رئيس الجمهورية . فوجدوا من مصلحة الجمهورية يومئذ ان يضعوا في رئاستها رجلاً جامعاً لصفتين : الاولى ميله الجمهوري المحض لكي لا يخون الجمهورية وينحاز الى اعدائها . والثانية الاعتدال واللفظ والمسالمة التي لا بد منها في منصب فوق الاحزاب كهذا المنصب . فوقع اختيارهم على المسيو اميل لوبه الرجل الكريم الجامع للصفتين معاً

ولما بلغ خبر انتخابه الى باريز قام حزب الناسيوناليس وقعد . وانتشر هذا الحزب على الطريق التي مرت بها مركبته قاصدة قصر رئاسة الجمهورية يصيحون : بناما بناما . يريدون بذلك تعيير الرئيس بانه كان له يد في قضية بناما المشهورة . مع ان المسيو لوبه لم يكن له يومئذ يد الا في دفن تلك الافذار لئلا تنتشر رائحتها فضر سمعة فرنسا نفسها . فاحتمل

المسيو لوبه مهاجمات واهانات اعداء الجمهورية بصبر غريب بالنسبة الى كبر سنه . ولكن كبر النفس لا تثوقف على كبر السن او صغرها . ولما اعترض المسيو ديرويلد زعيم حزب الناسيوناليست الجيش وهو عائد من جنازة المرحوم فليكس فور وطلب من قائده ان يزحف معه الى قصر رئاسة الجمهورية لاجراخ الرئيس الذي فيها واقامة جمهورية جديدة « للشعب من اجل الشعب » قابل المسيو لوبه في قصره هذا الخبر بالابتسام . ولكن لما حضر سباق اوتيل وهجم عليه احد ابناء الاشراف وضربه بعصاه على فبعته على مشهد من جميع الناس ذهب يومئذ هذا الابتسام وتحول الى جد غريب . فان الرئيس قال يومئذ لاحد اخصائه : انهم يصنعون بي هكذا ليمهلوني على الاستعفاء ضععة لاركان الجمهورية ولكن فايعلوا انني سابق في مناصبي مها جرى لي

ثم كانت وزارة المسيو والدك روسو بطل الجمهورية والبرلمان الفرنسي يجمع شمل الجمهوريين واضعف اعداء الجمهورية بمساعدة المسيو لوبه وبذلك انتصر هذا الرئيس اللطيف بصره وورزاته وصار بعد تلك الاهانات والمهاجمات محتزماً في فرنسا كلها وصارت الملوك (كالكيسر والملك ادورد السابع) تتسابق لزيارته وهزته يده

مشاهير الشرق

ملك شاه * نظام الملك

حين خروج الامة التركية من بلادها في افاصي آسيا واكتساحها ما يليها من البلاد التي كانت في قبضة العرب والفرس اشتهر منها سلطان ووزير طبقت شهرتهما الخافقين وتجا اكثر بلاد آسيا وهما السلطان ملك شاه ووزيره نظام الملك . وفي ترجمة هذين الحاكمين عبرة للحكام وفائدة للقراء . لانه اذا صح كل ما روي عن ملك شاه من اخصال والمناقب وجب وضعه في مقدمة الملوك الممدنين الذين اشتغلوا لترقية الحضارة والمدنية في الارض

✽ السلطان الب ارسلان ✽ السلطان ملك شاه هو ابن السلطان الب ارسلان الذي خلف السلطان طغرل بك . ويوم وفاة هذا السلطان كان الب ارسلان صاحب خراسان ومعه نظام الملك ووزيره والناس مائلون اليه فولوه دون سليمان بن داود جفري بك الذي عهد اليه السلطان طغرل بك بالسلطنة . فاتسع سلطان الب ارسلان حتى اُقب « بسلطان

العالم» وكان رفيقاً بالفقراء حكيماً متبصراً . قيل « ان بعض السعاة كتب اليه سعاية في نظام الملك وزيره وذكر ما له ما في ممالكه من الرسوم والاموال وترك هذه الورقة على مصلاه . فاخذها فقرأها ثم سألها الى نظام الملك وقال له : خذ هذا الكتاب فان صدقوا في الذي كتبوه فهذب اخلاقك واصح احوالك وان كذبوا فاغفر لهم زلتهم واشغلهم بهم . يشتغلون به عن السعاية بالناس » قال ابن الاثير بعد سرده هذه الحكاية : وهذه حال « لا بُدَّ » عن احد من المملوك احسن منها . وكان ألب ارسلان شديد العناية بكف الجند عن اموال الرعية . وقد بلغه يوماً ان بعض خواص ممالكه سلب من بعض الرستاقية ازاراً فاخذ المملوك وصلبه . فارتدع الناس من التعرض الى مال غيرهم . ولقد كانت هذه الشدة ضرورية بعد ما احاق ببغداد والبلاد من السلب والنهب على يد الجنود والعساكر

✽ **ملك شاه ونظام الملك** ✽ فعند وفاة ألب ارسلان اوصى ابنه ملك شاه بالاعتماد على وزيره نظام الملك فاعتمد عليه ملك شاه ولقبه القاباً جليلة من جملتها « اتابك » يعني الامير الوالد . فقام نظام الملك بهذا الامر احسن قيام

وكان نظام الملك رجلاً مقدماً . وقد كانت ولادته في سنة ٤٠٨ للهجرة في نوقان احدى مدبنتي طوس . قال ابن الاثير « وقد زال ما كان لابيه من مال وملك وتوفيت امه وهو رضيع فكان ابوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حسبة حتى شب وتعلم العربية وسر الله فيه يدعوه الى علو الهمة والاشتغال بالعلم » ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان متولي الامور بيلخ لداود والد السلطان الب ارسلان ثم اتصل بداود نفسه فاوصى به ابنه الب ارسلان

✽ **المشاكل الثلاث** ✽ ولما تولى ملك شاه السلطنة وعهد بوزارتها الى نظام الملك وجد نظام الملك نفسه لدى ثلاث مشاكل : المشكلة الاولى قيام الخليفة المقتدي بالله اماماً في بغداد والتفاف العرب حوله وما ينشأ عن ذلك عادة من الاحتكاك بين الخلافة والسلطنة . والمشكلة الثانية هياج الجند ورغبتهم في ان تطلق ايديهم في اموال الرعية لياخذوا ما يريدونه منها . والمشكلة الثالثة تسكين الثورات واخضاع الخوارج في اطراف البلاد وتأمن السبل فضلاً عن فتح البلاد اللازم فتحها تأمناً على ما في اليد من الاملاك ✽ **المشكلة الاولى** ✽ اما المشكلة الاولى فقد اتخذ فيها نظام الملك سبيل اللين والمسالمة . فصار يبالغ هو والسلطان في زيارة قبور الائمة والاولياء كقبر موسى بن جعفر وقبر معروف واحمد بن حنبل وابي حنيفة (رضى) وغيرها من القبور المعروفة . وفي ذلك قال ابن

ذكرويه الواسطي يهني نظام الملك بقصيدة منها :

زرت المشاهد زورة مشهورة ارضت مضاجع من بها مدفون
فكأ نك الغيث استهل بتربها وكأ نها بك روضة ومعين
فازت قداحك بالثواب والنجحت ولك الاله على النجاح ضمين

قال ابن الاثير في سنة ٤٧٩ « وعاد السلطان الى بغداد ودخل الى الخليفة فخلع عليه الخلع السلطانية ولما خرج من عنده بقي نظام الملك قائماً يقدم الى الخليفة اميراً اميراً . وكما قدم اميراً يقول : هذا العبد فلان بن فلان واقطاعه كذا وكذا وعدة عسكره كذا الى ان اتى على آخر الامراء » وفي هذه الزيارة « فوَّض الخليفة الى السلطان امر اليلاد والعباد وامره بالعدل فيهم . وطلب السلطان ان يقبل يد الخليفة فلم يجبه فسأل ان يقبل خاتمه فاعطاه اياه فقَبَلَه ووضع على عينه وامره الخليفة بالعود فعاد . وخلع الخليفة ايضاً على نظام الملك » (١) فتأمل هذا الاحترام الجليل الذي كان السلاطين يقابلون به الخلافة وان كان في ذلك شيء كثير من ضروب السياسة

✽ عرس جليل ✽ وزيادة في الاستيثاق من الخلافة رغب السلطان ملك شاه في تزويج ابنته الخليفة المقتدي بالله فتم الاتفاق على ذلك بعد ممانعة الخليفة قليلاً وقد « نقل السلطان جهاز ابنته الى دار الخليفة على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج الرومي . وكان اكثر الاحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلي اربعة وسبعين بغلاً مجللاً بأنواع الديباج الملكي واجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثني عشر صندوقاً من فضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلى وبين يدي البغال ثلاث وثلاثون فرساً من الخيل الرائعة عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجواهر ومهد عظيم كثير الذهب » اما الخليفة فانه ارسل ابا شجاع وزيره الى زوجة السلطان تركان خاتون ام العروس لان السلطان كان يومئذ متغيباً في الصيد « وكان بين يديه (يعنى ابا شجاع) نحو ثلاثمائة موكبية ومثلها متاعل . ولم يبق في الحريم دكان الا وقد اشعل فيه الشمعة والاشتان واكثر من ذلك . وارسل الخليفة مع (ظفر) خادمه محفة لم ير مثلها حسناً . وقال الوزير لتركان خاتون (ام العروس) سيدنا ومولانا امير المؤمنين يقول ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها . وقد اذن في نقل الوديعة الى داره . فاجاب بالسمع والطاعة . وحضر نظام

(١) وقال ابن خلكان « دخل نظام الملك على الخليفة المقتدي بالله فاذن له في المجلس بين يديه وقال له يا حسن رضي الله عنك برضاء امير المؤمنين عنك »

الملك فمن دونه من اعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشيع والمشاغل الكثير . وجاء نساء الامراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهم منفردة في جماعتها وتجمتها وبين ايديهن الشيع الموكيات والمشاغل يحمل ذلك جميعه الزرسان . ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع في محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر اكثر شيء . وقد احاط بالخفة مائتا جارية من الاثراك بالمرابك العجيبة وسارت الى دار الخلافة . وكانت ليلة مشهورة لم ير ببغداد مثلاً . ولكن ابنة السلطان لم يطل مقامها في حرم الخليفة اكثر من سنتين اذ في سنة ٤٨٢ « ارسل السلطان الى الخليفة يطلب ابنته طلباً لا بد منه . وسبب ذلك انها ارسلت تشكو من الخليفة وتذكر انه كثير الاطراح لها والاعراض عنها فاذن لها في المسير فسارت في ربيع الاول وسار معها ابنها من الخليفة ابو الفضل جعفر بن المقتدي بالله » ولما وصلت الى اصبهان اقامت بها الى ذي القعدة ثم توفيت فجلس وزير الخليفة في بغداد للعزاء سبعة ايام واكثر الشعراء مرانها في بغداد مقر الخلافة وفي اصبهان معسكر السلطان

المشكلة الثانية * اما المشكلة الثانية وهي كف ايدي الجند عن اموال الرعية فقد لجأ فيها نظام الملك الى سياسة السلطان اب ارسلان وهي التشديد في معاقبة الاعتداء . فكبح بشدته جراح الجند كبحاً شديداً بعد ان كاد الجند يعود الى السطو كما كان يفعل في ايام السلطان طغرل بك وغيره . فضلاً عن ذلك فان نظام الملك شغل الجند بالفتوح والحروب الخارجية عن الفتن الداخلية

المشكلة الثالثة * وهذه الفتوحات والحروب الخارجية مدد ملك شاه ونظام الملك سلطنتها من « حدود الصين الى آخر الشام ومن اقاصي بلاد الاسلام في الشمال الى آخر بلاد اليمن . وحمل اليه (يعني الى ملك شاه) ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وانقضت ايامه على امن عام وسكون شامل وعدل مطرد » « وكن منصوراً في الحروب ومغرم بالعمائر فحفر كثيراً من الانهار وعمل الاسوار على كثير من البلدان وانشأ في المفاوز رباطات وقناطر . وهو الذي عمر جامع السلطان ببغداد وصنع بطريق مكة مصانع وغرم عليها اموالاً كثيرة خارجة عن الحصر وابطل المكوس والخمارات في جميع البلدان . وكانت السبل في ايامه ساكنة والخواف آمنة تسير القوافل مما وراء النهر الى اقصى الشام وليس معها خفيرو يسافر الواحد والاثنان من غير رهب »

ومن ذلك يعلم عظمة تلك الارادة القوية التي سكنت سائر الفتن بين العناصر والمذاهب المختلفة وبسطت رواق الامن في آسيا

﴿ المدرسة النظامية ﴾ ومن اهم الامور التي صرف اليها نظام الملك فكره انشاء المدارس . ومن المدارس التي انشأها المدرسة النظامية الكبرى في بغداد التي اشتهرت اشتهار اعظم كليات اوروبا . وكان نظام الملك يربي ابنه فيها . وقد « شرع نظام الملك في بنائها في بغداد عام ٤٥٧ وفي عام ٤٥٩ جمع الناس على طبقاتهم ليدرس بها الشيخ ابو اسحق الشيرازي . فلم يحضر . فذكر الدرس ابو نصر بن الصباغ صاحب الشامل عشرين يوماً . ثم جلس الشيخ ابو اسحق يدرس بعد ذلك . وكان الشيخ ابو اسحق اذا حضر وقت الصلاة خرج منها (لكي لا يعلي فيها) وصلى في بعض المساجد » ذلك انه كان يقول « بلغني ان اكثر آلاتها غصب » يعني ان نظام الملك بناها بغصب الناس اشياءهم . وكان نظام الملك كلما قدم الى بغداد « يدخل اليها ويجلس في خزانة الكتب (اي مكتبتها) ويطالع فيها كتباً . وقد سمع الناس عليه بهذه المدرسة جزء حديث واملى جزءاً آخر » ومن اشغلوا بالتدريس في هذه المدرسة بعد ذلك اكابر علماء العراق منهم حجة الاسلام الامام الغزالي حتى صارت في العراق بمنزلة الجامع الازهر في مصر . ويظهر ان الخلاف بين الحنابلة والاشاعرة اشتد في سنة ٤٧١ ودخل فيه مدرسو هذه المدرسة وطلبتها فجرت بسبب ذلك قتل دموية فكتب ابو الحسن محمد بن علي بن ابي الصقر الواسطي الفقيه الشافعي الى نظام الملك في ايات

يا نظام الملك قد * حل ببغداد النظام * يا قوام الدين لم * ببق بغداد مقام
فاذا لم تحسم الد * اء اياديك الحسام * ويكف القوم في بغ * داد قتل وانتقام
فعلى مدرسة فيها * ومن فيها السلام

فقدم حينئذ نظام الملك الى بغداد ودخل مدرسته النظامية والقفل بجوارها فسكر
تأثر تلك الحركة . وكان يومئذ التوفيق بين العناصر والمذاهب مشكلة رابعة بذل نظام الملك
جهده في حلها

﴿ مقتل نظام الملك ﴾ قال ابن خاكان « ان نظام الملك وطّد المملكة لملك
شاه فصار الامر كله لنظام الملك وليس للسلطان الاّ التخت والصيد . واقام على هذا عشرين
سنة » ويظهر ان علو مكانة نظام الملك في المملكة الى هذا الحد اثار عليه غضب السلطان
في نهاية الامر لا سيما وان خصمه تاج الملك كان يوغر عليه صدر السلطان دائماً .
فبطش به السلطان كما بطش هرون الرشيد بالبرامكة والمنصور بابي مسلم الخراساني خوفاً
وحسداً . وقد اغتحم ملك شاه لذلك اول الفرص . واليك البيان :

كان لنظام الملك خفيد يدبر شوئون مرو و يدعي عثمان . ففي ذات يوم ارسل اليها ملك شاه رجلاً من اكابر ممالكه يدعى قودن فتنازع هو وعثمان تنازعاً افضى الى ان فعل به عثمان فعلة نضرب عنها صفحاً . فذهب قودن الى السلطان شاكياً مستغنياً . فلما بلغ هذا الامر الى ملك شاه غضب وارسل الى نظام الملك يقول له « ان كنت شريكى في الملك ويدك مع يدى في السلطنة فلذلك حكم . وان كنت نائبي وبمكحي فيجب ان تلزم حدّ التبعية والنيابة » ثم ذكر له استيلاء اولاده على الكور وتطاولهم على شوئون الدولة . فحين بلغت نظام الملك هذه الرسالة غضب واجاب عليها بقوله « قولوا للسلطان ان كنت ما علمت اني شريكك في الملك فاعلم . فانك ما نلت هذا الامر الا بتدبيرى ورأى في . قولوا له ان ثبات تلك القلنسوة (يعني قلنسوة السلطان) معذوق بهذه الدواة . وان اتفقاها رباط كل رغبة وسبب كل غنية . واذا اُطبقت هذا يعني الدواة) زالت تلك »

فلما بلغ هذا الجواب الى السلطان وقع وقعاً عظيماً عنده فدبر له على الارحج من قتله . وتفصيل ذلك ان نظام الملك كان يوماً في قرية قريبة من نهاوند يقال لها « سخنة » واذ اعترضه صبي ديلي من الباطنية في صورة مستميتح مستغيث ويده ورقة فدنا منه نظام الملك ليتناولها فطعنه الصبي في فؤاده ثم فرّ فغثر بطنب خيمة فادركوه فقتلوه . واما نظام الملك فانه حمل الى مضر به فمات لساعته

وكأنّ النظام بقوله ان دواته منوطة بقلنسوة السلطان قد نظر الى المستقبل . فان السلطان ملك شاه لم يعيش بعده اكثر من خمسة وثلاثين يوماً . وكان سبب موته « انه اكل لحم صيد فخم وافنصدم يستوفى اخراج الدم » وبعد موتهما انحلت تلك الدولة الواسعة التي لم يملك مثلها احد من ملوك العرب بعد الخلفاء المتقدمين كما قال ابن خلكان ووقع السيف فيها . اما دفنها فقد كان في اصبهان

وقد رثى الشعراء نظام الملك من ذلك قول شبلى الدولة مقاتل بن عطية

كان الوزير نظام الملك لواءه يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزّت فلم تعرف الايام قيمتها فردّها غيرةً منه الى الصدف

✽ **عود الى الخليفة المقتدي بالله** ✽ وقبل وفاة ملك شاه « بايع الخليفة المقتدي بالله

لولده المستظهر بولاية العهد من بعده لانه كان الاكبر . فالزم السلطان الخليفة ان يحلعه ويجعل جعفر ابن بنته (التي تزوج بها الخليفة كما تقدم) ولي عهده ويسلم بغداد اليه ويخرج الخليفة الى البصرة . فشق ذلك على الخليفة وبالغ في استئزال السلطان عن هذا

الرأى فلم يفعل وطلب المهلة عشرة ايام ليتجهز فامهله . فقيل ان الخليفة في تلك الايام جعل يصوم ويطوى واذا افطر جلس على الرماد الافطار وهو يدعو الله على السلطان فرض السلطان في تلك الايام ومات وكفى الخليفة امره »

﴿ نوادر عن اخلاق نظام الملك ﴾ كان عالماً كثير الصنع عن المذنبين طويل الصمت . « وكان اذا دخل عليه الامام ابو القاسم القشيري والامام ابو المعالي الجويني يقوم لها ويجلس في مسنده كما هو واذا دخل ابو علي الفارمذي يقوم اليه ويجلسه في مكانه ويجلس هو بين يديه . فقيل له في ذلك فقال : ان هذين وامثالهما اذا دخلوا علي يقولون لي انت كذا وكذا ويثنون علي بما ليس في فيدي ذلك عجباً وتبهاً . وهذا الشيخ يذكر لي عيوب نفسي وما انا فيه من الظلم فتتكسر نفسي لذلك وارجع عن كثير مما انا فيه »

« وقيل كان ليلة يا كل الطعام وبجانبه اخوه ابو القاسم وبالجانب الآخر عميد خراسان والى جانب العميد انسان فقير مقطوع اليد . فنظر نظام الملك فرأى العميد يتجنب الاكل مع المقطوع فامر بالانتقال الى الجانب الآخر وقرب المقطوع اليه فاكل معه . وكانت عادته ان يحضر الفقراء طعامه ويقربهم اليه »

ولما ولي ملك شاه السلطنة خرج عليه احد اعمامه فاسره ملك شاه وامر بقتله فطلب اليه عمه ان يعفو عنه وانفذ اليه خريطة مملوءة من كتب امرائه ليثبت له بذلك انهم هم الذين حملوه على الخروج عن طاعته . فاخذ ملك شاه الحقيبة ودفعاها الى نظام الملك ليفتحها ويقراء ما فيها . ففتاوها نظام الملك واتقاهما في كانون نار كان هناك فاحترقت الكتب وسكنت قلوب الامراء والعساكر ووطنوا انفسهم على خدمة ملكشاه بعد ان كانوا قد خافوا من الخريطة لان اكثرهم كان قد كاتبه . وكانت هذه معدودة من جميل آراء نظام الملك وكانت سبباً في ثبات قدم ملك شاه في السلطنة »

﴿ نوادر عن اخلاق ملك شاه ﴾ كان ملك شاه يلقب بالسلطان العادل . ويروى ان رجلين من ارض العراق السفلى قصدا ملك شاه وشكيا اليه مصادرة احد العمال لها بالف وستائة دينار وكسره ثنيقي احدهما « فنزل السلطان عن دابته وقال « ليمسك كل واحد منكما بطرف كي وامسحبا في الى خواجه حسن (يعني نظام الملك) فامتعا من ذلك واعتذرا فاقسم عليهما الا فعلا فاخذ كل واحد منهما بكم من كيه ومشى معها الى نظام الملك . فبلغ الخبر الى نظام الملك فخرج مسرعاً ولقيه وقبل الارض وقال يا سلطان العالم : ما حملك على هذا . فقال كيف يكون حالي غداً عند الله اذا طولبت بحقوق

المسلمين وقد فلدتك هذا الامر لكفيني. مثل هذا الموقف . فان نال الرعية اذى فانت المطاآب
لما خرج عليه اخوه سار ملك شاه ونظام الملك لقتاله « فاجتازا بقبر على بن موسى »
الرضى وبطوس فدخلوا وصليا فيه واطالا الدعاء . ثم قال ملك شاه لنظام الملك باي شيء
دعوت . قال دعوت الله تعالى ان ينصرك ويظفرك باخيك . فقال اما انا فلم ادع بهذا
بل قلت اللهم انصر اصلحنا للمسلمين وانفعنا للرعية »

وسطا بعض الجنود على سوادى فغصبوه بطيخاً معه فلقيه ملك شاه بيكي . واذعرف
الخبير بعث من يطوف في الجنود ليحيي . بن يحمده عنده بطيخاً . ولما جاء الرجل وكان من
امراء المماليك سأله من اين لك البطيخ فاجاب ان بعض الغلمان جاءوا به فقال السلطان
جنني بهم فذهب الامير وهر بهم ثم عاد وقال للسلطان اني لم اجدهم . فالتفت السلطان الى
السوادى وقال له : هذا مملوك قد وهبته لك حيث لم يحضر القوم الذين اخذوا متاعك والله
لئن خليت لاخرين رقبتيك . فاخذ السوادى بيده فاضطر الامير ان يشتري نفسه منه
بثلاثمائة دينار

وروي ايضا انه « احضرت اليه مغنية وهو بالري فاعجب بها فاستطاب غناءها ورام
منها ما لا يُرام فقالت يا سلطان اني اغار على هذا الوجه الجميل ان يُعذَّب بالنار فان الحلال
ايسر وبينه وبين الحرام كلمة . فقال صدقت واستدعى بالقاضي فتزوجها منه
هذه خلاصة ترجعتي ذينك الرجلين العظيمين اللذين يحق للشرق ان يفخر بهما

